

تفاعل المكونات اللسانية في اكتساب الألسن وتعلمها  
**The Interaction of Linguistic Components in Acquiring and Learning Languages**

حسن مالك\*

Malek hassan

مختبر علوم التربية، العلوم الإنسانية واللغات

جامعة محمد الخامس، المدرسة العليا للأساتذة، ملحقة العرفان، الرباط - المملكة المغربية

University of Mohammed V, E.N.S. Rabat, Morocco

malek\_ling@hotmail.fr

تاريخ النشر: 2022/03/02

تاريخ القبول: 2021/05/27

تاريخ الإرسال: 2020/11/09

ملخص البحث

سأحاول في هذه الورقة البحثية تقديم بعض السمات العامة التي تهدف إلى استثمار وتطوير إحدى الأدوات الإجرائية في البحث اللساني، وأقصد بذلك تفاعل المكونات (المستويات) اللسانية: التركيب، الدلالة، التداولية، بغرض بناء نموذج ديداكتيكي يلبي الحاجات التدريسية لمكونات اللغة العربية، وهي مكونات (مستويات) تتفاعل بقوة في صلب اللغة والخطاب.

سأنظر في القسمين الأول والثاني من هذه الورقة في كيفية تفاعل المكونات (المستويات) اللسانية في النسق اللغوي العربي القديم والنسق اللساني المعاصر، وهما لا يتباينان كثيرا في توجههما التعليمي من حيث وصف اللغة وعناصر هذا الوصف. وسأعمق في القسم الثالث في ما توصل إليه بعض اللسانيين فيما يخص التفاعل الممكن بين المكونات (المستويات) اللسانية: التركيب والدلالة، التركيب والتداولية، الدلالة والتداولية، ثم التركيب والدلالة والتداولية، والطرق التعليمية المنهجية التي تتحصل من هذا التفاعل.

الكلمات المفتاحية: تركيب، دلالة، تداولية، اكتساب الألسن وتعلمها، لسانيات.

**Abstract:**

In this paper, I will try to present some general features that aim at investing and developing one of the procedural tools in linguistic research ; that is, the interaction of the linguistic components: syntax, semantics, pragmatics, and so on in order to create a didactic model that meets the teaching needs of the

\* حسن مالك malek\_ling@hotmail.fr

Arabic language and its components which deeply interact at the linguistic and discursive levels.

In the first and second sections of this paper, I will look at how the linguistic components interact in the ancient and the contemporary linguistic systems. Actually, they do not differ much in their educational orientation in terms of describing the language and the elements of this description. In the third section, I will delve deeper into what some linguists have reached with regard to the articulation and the possible interaction between these linguistic components: syntax and semantics, syntax and pragmatics, semantics and pragmatics, then the syntax , semantics and pragmatics, and the educational methods that stem from such interaction.

**key words:** Syntax, Semantics, Pragmatics, Acquiring and Learning languages, Linguistics .



#### مقدمة :

تروم هذه الورقة البحثية تقديم بعض السمات العامة التي تهدف إلى استثمار وتطوير إحدى الأدوات الإجرائية في البحث اللساني، يتعلق الأمر بتفاعل المكونات اللسانية : التركيب، الدلالة، التداولية بغرض بناء نموذج ديداكتيكي يلي الحاجات التدريسية لمكونات اللغة العربية، وهي مكونات تتفاعل وتتكامل بقوة في صلب اللغة والخطاب.

يتمحور القسم الأول والثاني من هذه الورقة حول كيفية تفاعل المكونات اللسانية في النسق اللغوي العربي القديم والنسق اللساني المعاصر، وهما لا يتباينان كثيرا في توجههما التعليمي من حيث وصف اللغة وعناصر هذا الوصف. وينظر القسم الثالث في ما توصل إليه بعض اللسانيين فيما يخص التعلق والتفاعل الممكن بين المكونات اللسانية : التركيب والدلالة، التركيب والتداولية، الدلالة والتداولية، ثم التركيب والدلالة والتداولية، والطرق التعليمية المنهجية لاكتساب الألسن التي تتحصل من هذا التعلق وهذا التفاعل.

يتحدد الإطار النظري لهذه الورقة في رصد وتعريف بعض المصطلحات والمفاهيم والنظريات المرتبطة بموضوع هذا البحث؛ من قبيل تعريف : التركيب، الدلالة، التداولية، وعناصر لسانية أخرى، وأشكال تفاعلها لبناء النسق اللغوي إدراكا واستعمالا. ويتحدد الإطار المنهجي في وصف وتفسير كيفية تفاعل هذه المستويات اللسانية فيما بينها أو مع مكونات وعناصر أخرى، في العملية التعليمية اللغوية أي :

داخل الفصل الدراسي، وذلك في إطار وظيفي عام مرتبط باللغة والخطاب؛ اكتسابا وتعلما، وتحليلا وتأويلا وتوصيلا.

### أولا : تفاعل المكونات اللسانية في النسق اللغوي العربي القديم

لقد كان الفكر اللغوي العربي القديم يعد اللغة أو الخطاب اللغوي كلا لا يتجزأ في الاستعمال والتداول، ولقد ساد التفاعل والانصهار والاندماج بين العلوم الواصفة للغة وبين مستويات الوصف اللغوي عموما، لما يوجد بين هذه العلوم من تلاحم عضوي وطبيعي. ولم يفصل علماء اللغة العرب بين العلوم اللغوية إلا بعد القرن الثالث الهجري عندما دخلت الدراسات اللغوية مرحلة الاجترار والتقليد وظهور بوادر التخصص والتحديد في كل علم. وفي هذا الإطار يمكن الحديث عن طرحين سادا النسق اللغوي العربي القديم؛ الطرح الأول ينظر إلى المكونات اللسانية (النحو، الدلالة، التداول ..) على أنها مكونات مستقلة، حيث يعتبر "النحو" دراسة تركيبية صوتا وصرفا، يتناول "سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره، كالثنية والجمع، والتحقير والتكسير، والإضافة والنسب والتركيب، وغير ذلك ... (الخصائص 34/1). ويعتبر الدلالة بكونها "معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم، لتأدية أصل المعنى مطلقا، بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب، وقوانين مبنية عليها ... (السكاكي : المفتاح : 75). أما المستوى التداولي فيظل قائما على فهم "خطاب العرب وعاداتهم في الاستعمال، إلى حد يميز بين صريح الكلام وظاهره، ومجمله وحقيقته ومجازته، وعامه وخاصه، ومحكمه ومتشابهه، ومطلقه ومقيده، ونصه وفحواه، ولحنه ومفهومه ... (الغزالي : المستصفي : 7/1). وكان من نتائج هذا الطرح أن اختص النحاة بالجانب التركيبي نحو وصوتا وصرفا، واهتم اللغويون بدلالة الألفاظ، وتبع علماء البلاغة مسألة "المعنى" بالمفهوم الواسع، وربطوا في ذلك بين المقام والمقال.<sup>1</sup>

الطرح الثاني ينظر إلى المستويات اللسانية السابقة على أنها مستويات متفاعلة ومتكاملة، أي أن هذا الطرح احتفظ بطابعه الوصفي الوظيفي في تفاعل مستويات اللغة، فهذا سيؤيه في نظر الشاطبي؛ إن تكلم في النحو، فقد نبه في كلامه على مقاصد العرب وأنحاء تصرفاتها في ألفاظها ومعانيها، ولم يقتصر فيه على بيان أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب ونحو ذلك، بل هو يبين في كل باب ما يليق به، حتى إنه احتوى على علم المعاني والبيان ووجوه الألفاظ والمعاني. ولم يفد ابن جني هذا الفهم التفاعلي بين المكونات الواصفة للغة، حيث ينظر إلى الخطاب اللغوي العربي على أنه شبكة من الانتظامات (التركيبية/الدلالية/المقامية) تحكمها بعض الأهداف والغايات في صلب التداول اللساني. أما السكاكي فيجسد من

خلال المكون الاستدلالي التداولي ذلك التفاعل الحاصل بين المكونات اللسانية الثلاثة : الدلالة - التركيب - التداول.<sup>2</sup>

إن التفاعل بين العلوم اللغوية أو الاندماج بين مكونات الوصف اللغوي يعني أن تعليم اللغة العربية وتعلمها لا يمكن أن يقتصر على تلقي مكون واحد من المكونات الواصفة للغة العربية، بل لابد من توفر تفاعل أكثر من مكون. وكمثال على ذلك نذكر التفاعل القائم بين علم الأصوات وعلمي النحو والصرف؛ إذ يؤكد الواقع اللغوي أن مجال الدراسة الصوتية أوسع بكثير من أن يتوقف على السلامة النطقية للحروف؛ فهذه الدراسة تخدم أيضا الدلالة الصرفية والنحوية. فعلم الصرف يعد من العلوم اللصيقة بعلم الأصوات، ذلك أن معظم موضوعات علم الصرف إنما هي قائمة على الصوت في الدراسة، وتعتمد على المعطيات التي يقدمها علم الأصوات. نفس الشيء بالنسبة لمجموعة من الظواهر والمصطلحات النحوية التي تقوم على معرفة قبلية بمجال الصوتيات.

أما بخصوص العلاقة بين مكوبي النحو والصرف فالتفاعل والتكامل هو الأصل في العلاقة بين هذين العلمين، "والحق أن الدرس النحوي في اللغة العربية يقوم على علاقة ائتلاف البنى الصرفية من اسم وفعل وحرف فيما بينها داخل التركيب، وهو بذلك لا يستغني عن الوحدات الصرفية التي بدورها لا تفتح على المعاني إلا إذا ركبت في جملة. فالدراسة الصرفية تشكل مقدمة ضرورية للدراسة التركيبية، ولبنة مهمة لدراستها وفهمها، لما بين التركيب وبنية الكلمة من صلة وثيقة؛ ذلك أن بنية الكلمة تساهم في صنع المعنى إلى جانب الصوت. وموازية مع ذلك، لا تكون للكلمة أو الوحدة الصرفية أية دلالة معنوية من فاعل أو مفعول أو غير ذلك إلا داخل تركيب يجعل لها معنى نحويا ودلاليا مميذا في الوقت ذاته، فلا كيان للتركيب دون الوحدات الصرفية؛ إذ علاقة النحو بالصرف وطيدة جدا، يصعب معها إمكان الفصل بينهما."<sup>3</sup>

من جانب آخر نجد أن التراكيب النحوية لا تجدي شيئا إذا غابت عنها المعاني البلاغية، كما أن هذه المعاني لا تدرك إدراكا سليما إذا لم يختار لها التراكيب النحوية الصحيحة والمناسبة لها. فالنحو والبلاغة متلازمان ويكمل أحدهما الآخر، لأن الفهم السليم للتركيب لا يتطلب فهم قواعد النحو وأصوله فحسب، ولكن يتعدى ذلك إلى استيعاب ما في هذا التركيب من معان وأغراض وإضافات وفروقات يتميز بها عن باقي الأساليب. وهنا نستحضر أن أشهر كتاب في النحو "كتاب سيبويه" لم تغب عنه بعض النظرات البلاغية، وأن النحاة المتقدمين عموما ميزوا بين مستويين في الدراسة النحوية، يتعلق

المستوى الأول بتلك "القواعد المجردة التي استند فيها النحويون إلى كلام العرب الفصيح المنقول نقلا صحيحا ... أما المستوى الثاني، فكان يتمثل في العلاقات المتنوعة بين الكلمات ثم بين الجمل"<sup>4</sup>. وتأكيذا لهذه الحقيقة، يوضح عبد القاهر الجرجاني العلاقة القوية بين علمي النحو والبلاغة بقوله: "أعلم أن ليس "النظم" إلا أن تضع كلامك الموضوع الذي يقتضيه "علم النحو"، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نجت فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها ... هذا هو السبيل، فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النحو، قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزبل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له"<sup>5</sup>.

وإذا كان الجهاز الواصف عند السكاكي يتألف من أنساق القواعد الآتية: قواعد صوتية - صرفية تضطلع بتكوين المفردات، وقواعد نحوية تتكفل بتأليف المفردات فيما بينها لتكوين الجملة، وقواعد تداولية (علمي المعاني والبيان) تضطلع برصد الترابط القائم بين الجملة خرج القواعد النحوية والطبقات المقامية الممكن أن تنجز فيها مطابقة المقال لمقتضى الحال. فإن نظرية النظم عند الجرجاني تقوم على أساس أن قواعد النحو تربط بين بنيتين: بنية تداولية تتضمن الغرض من الكلام وبنية تركيبية لفظية.<sup>6</sup> فالنحو هو قانون العلاقات التي تحكم النظم، وهو السبيل لمعرفة صحيح التركيب من فاسده. والمتصفح للكتب اللغوية القديمة سيدرك بسهولة أن كلا من النحو والبلاغة في اللغة العربية لا ينفصلان عن بعضهما البعض مثلما لا يمكن الفصل بين التركيب ودلالته.

#### ثانيا: تفاعل المكونات اللسانية في الدرس اللساني الحديث

إذا كانت اللسانيات في أبسط تعريف لها هي الدراسة العلمية للغة، فإن وصف وتفسير لغة من اللغات لا يتم إلا بعد تحديد مستوياتها اللسانية، ومن هذه المستويات:

- المستوى الصوتي: وهو مستوى لساني يعنى بدراسة النظام الصوتي للغة، ويهتم بمعالجة أصوات اللغة وبنيتها وتعالقها مع باقي المكونات اللسانية الأخرى. والتحليل اللساني للغة يبدأ بالأصوات باعتبارها العناصر الأولى التي تتشكل منها الكلمات أو الوحدات الدالة. وهذا المجال يهتم به علم الأصوات العام وعلم الصوتيات أو الفونولوجيا.

- المستوى الصرفي : ويهتم هذا المستوى بدراسة مجموعة من الوحدات في شكل صيغ صرفية لها أوزانها المقابلة في النظام اللغوي العام. ويدرس كذلك علاقة الصيغ ببعضها وعلاقة الوحدات المكونة للصيغة ذاتها. كما ينظر في بناء الكلمة من حيث صيغها الصرفية والقواعد المسؤولة عن سلامة بنائها.
- المستوى التركيبي : يعرف التركيب بكونه " تلك الدراسة التي تتناول صيغ اللغة أو أجزاء الخطاب، تأليفاً وتركيباً، ولعلها الدراسة التي تنطبق على مصطلح النحو إذا ضم إليه دراسة الأصوات والصرف."<sup>7</sup>
- المستوى الدلالي : يعرف مصطلح الدلالة في إطار اللسانيات العامة بكونه : "تلك الدراسة التي تتناول معاني الكلمات والمركبات والجمل والتعابير، وحقوقها وعلاقاتها. وهي وسيلة لتمثيل معنى الأقوال والملفوظات."<sup>8</sup>
- المستوى التداولي : تهتم التداولية بمجال " استعمال اللغة من قبل المتكلمين والمخاطبين، ودراسة جوانب هذا الاستعمال النفسية والاجتماعية والتواصلية والحضارية وما إلى ذلك في فضاء زمني أو مكاني محدد..."<sup>9</sup>
- ولقد أفرز إشكال التعالق بين المكونات اللسانية السابقة وتحديد التركيب والدلالة والتداول المقاربات الثلاث التالية :
- 1- مقارنة استقلال التركيب استقلالاً مطلقاً (وقد تزعم تشومسكي 1957 هذه المقاربة رداً من الزمن).
  - 2- مقارنة ربط التركيب بالوظيفة، وهي تنزع نحو الاستقلال النسبي، وتعتبر هذه المقاربة أن التركيب نسق مشتق ومتولد عن الوظائف. أما ما يسمى بالنحو فليس إلا ظاهرة عارضة لعمليات لسانية طبيعية.
  - 3- مقارنة التداخل بين المكونات اللغوية، ويمثل هذه المقاربة في الطرح اللساني المعاصر، أعلام ينتمون إلى مختلف المشارب الفكرية؛ فلاسفة الدلالية (السيمائية) الرواد (بورس، موريس ..)، رواد المنطق الوضعي الجديد (فيتجنشتاين، ديكرو ..)، ولسانيو الخطاب العادي (سورل، أوستين ..)، وبعض لسانيي التواصل .. كما تمثلها بعض التيارات المزوجة في الوصف : إما بين التركيب والدلالة، أو بين التركيب والتداول...<sup>10</sup>
- وفي إطار مقارنة التداخل بين المكونات اللغوية، وتحديدًا في إطار المزوجة في الوصف بين التركيب والدلالة والتداول، اهتمت اللسانيات الحديثة بدراسة العلاقات بين مكونات الجملة من خلال التفاعل بين التركيب والدلالة والتداول، ففي إطار النحو الوظيفي يرى أحمد المتوكل أن كلا من الفاعل والمفعول

يدخلان في إطار علاقات تركيبية، وذلك في تفاعل مع علاقات أخرى تربط بين مكونات الجملة، وهي العلاقات الدلالية (علاقات "المنفذ" و"المتقبل" و"المستقبل"...)، والعلاقات التداولية (علاقة "المبتدأ" وعلاقة "الذيل" وعلاقة "المحور"...). وفي اللسانيات التوليدية؛ ولاسيما في البرنامج الأذنوي فإن الفعل الرئيسي وبالإضافة إلى ما ينطوي عليه من معان ذات طبيعة مورفولوجية أو ذات أصول تصريفية؛ كالزمن والتطابق، والإعراب والبناء، فإن قاعدته الدلالية أو رصيده المعنوي يتسع لقيمة دلالية تتمثل باختصار في معنى الحدث للفعل، وبلغة أدق إن الفعل من حيث بنيته التكوينية الأساسية له بعدان: بعد مورفولوجي، وبعد دلالي. لذلك فإن كل دور دلالي يناسبه موقع تركيب في الجملة العربية.

ووظفت اللسانيات الحديثة في هذا السياق مصطلحات أكثر دقة للتعبير عن مفهوم الوظائف التركيبية والدلالية ومن هذه المصطلحات: منفذ، مستقبل، مستفيد... إلخ، وعليه يعتبر النحو التوليدي الفاعل من الناحية الدلالية منفذا والمفعول مستقبلا...

وتركز مقارنة التداخل بين المكونات اللغوية؛ حسب الباحث اللساني "بنعيسى أزييط" على مفهوم "العلامة" الذي يجمع بين المكونات اللسانية: فالتركيب يقتضي الدال باعتباره أحد وجهي العلامة، تنظيما وتكونا، وتقتضي عناصر التركيب الدلالة، باعتبارها دلالة عامة، كما توجب التداولية استعمال هذه العلامة. ويستخلص من هذه المقاربة الصور التفاعلية الثلاث التالية:

أ- يحيل مصطلح التركيب على وجود مجموعة من العناصر المتمثلة في الدالات الصوتية والصرفية والتأليفية، ويرهن الواقع اللغوي على وجودها.

ب- تقتضي الدلالة التركيب، فيكفي أن نتصور استعمالا لغويا ما للدلالة على أن هناك تعبيرا يتعلق بأحد المعاني: كمعنى الاستفهام، ومعنى الأمر، ومعنى التعجب... إلخ.

ج- تقتضي التداولية البعدين التركيبي والدلالي، ويعني ذلك دالات منظمة وصحيحة من الناحية التركيبية، ومتناسقة ومفهومة من الناحية الدلالية.<sup>11</sup>

وهكذا إذا تأملنا بدقة التراث اللغوي العربي القاسم نجد أن القدماء كانوا بالفعل يأخذون بعين الاعتبار تكامل المستويات اللسانية أثناء دراستهم لظواهر اللغة، ويظهر ذلك واضحا من خلال مؤلفاتهم مثل كتاب سيبويه الذي كان يعد النحو مجالا واسعا لدراسة اللغة من كل جوانبها الصرفية والصوتية والدلالية والتداولية، ذلك أن النحو عنده هو دراسة تركيبية للغة صوتا وصرفا وتركيبا ودلالة وهو ما نجده أيضا واضحا عند ابن جني من خلال تعريفه للنحو. ولا يختلف الفكر اللساني المعاصر من الناحية الوظيفية عن

التراث اللغوي العربي القديم في اعتماد مقارنة التداخل والتفاعل والتكامل بين المكونات اللسانية في دراسة اللغة. فكيف ينعكس إذا هذا التطابق على مجال اكتساب الألسن وتعلمها ؟

### ثالثا : تفاعل المكونات اللسانية واكتساب الألسن وتعلمها

استطاع الفكر اللغوي العربي القلم أن يساهم في عملية اكتساب اللغة العربية وتمثلها عند متعلميها، وذلك انطلاقا من مقارنة إدماجية للمكونات اللغوية أثناء دراسة وتدرّيس ظواهر اللغة. وكان من نتائج هذه المقارنة أن احتفظ هذا الفكر بطابعه الوصفي الوظيفي في تفاعل مكونات اللغة، رغم طابع الاستقلالية والتخصص الذي ساد الدراسات اللغوية العربية في مراحل زمنية لاحقة، حيث اختص النحاة بالجانب التركيبي نحو وصوتا و صرفا، واهتم اللغويون بدلالة الألفاظ، وتتبع علماء البلاغة مسألة "المعنى" بالمفهوم الواسع، وربطوا في ذلك بين المقام والمقال.

أما الفكر اللساني المعاصر، فقد فرض نفسه كأداة ضرورية لتحديد أهداف اكتساب الألسن وتعلمها وتوضيحها، حيث أصبحت اللسانيات؛ باعتبارها آلة وصفية وتفسيرية لظواهر متعددة من اللغة، في تناول معلم اللغة، تعينه على عملية التعليم اللغوي بما راكمته من نتائج نوعية شملت مجالات: المعجم والأصوات والصرف والتركيب والدلالة والتداول، وهي ليست الوسيلة الوحيدة التي تؤثر في هذه العملية إلا أنها تعد الأداة الأهم في هذا المجال، فهي في الحقيقة تعمق معرفتنا بطبيعة اللغة الطبيعية وبعملية استعمال الإنسان للغة في ظروف التكلم المختلفة وبالعلاقات القائمة بين المتكلم والمخاطب وسياق الخطاب. ومن ثم على المدرس أن يبين لمتعلم اللغة العربية أن الجملة في هذه اللغة هي مجموعة من العناصر المرتبطة والمتفاعلة فيما بينها، وهي التي تؤدي وظيفة التخاطب. هذه العناصر تنتظم في مستويات لغوية أساسية : المستوى التركيبي بكل عناصره الصوتية والصرفية والنحوية، والمستوى الدلالي بعناصره المعجمية ومركباته الجمالية ودلالاتها، والمستوى التداولي ببعده السياقي أو المقامي وملاءمته للنسق اللغوي ..

هذا الانسجام والتفاعل بين المستويات اللسانية وبين القدرة الذهنية للمتعلم واستعداده الوجداني، هو الذي يجعل عملية اكتساب اللغة وتعلمها عملية ناجحة وتؤدي وظيفتها على الوجه الأكمل. ومن أبرز النماذج اللسانية لتفاعل المستويات اللسانية في اكتساب الألسن وتعلمها، نجد النموذج التوليدي الذي يعد اللغة نسقا ذهنيا توليديا يتوسل إلى رصده بأحاء صوتية ذات أسس منطقية- رياضية، سواء تعلق الأمر بخصائص هذا النسق الصوتية، أو التركيبية، أو الدلالية، أو التداولية. ويعد اكتساب اللسان في إطار هذا النسق قدرة معرفية بشرية فطرية من جهة، ونسقا توليديا من جهة أخرى.

ونجد نموذج مستعملي اللغة الطبيعية الذي تبلور في إطار نظرية النحو الوظيفي، وهو نموذج يتألف، حسب منظري هذا النحو، من فئتين من القوالب: قوالب مركزية ثابتة يتم تشغيلها في كل عملية تواصلية، وقوالب مساعدة يلجأ إليها عند الحاجة حسب ما يقتضيه موقف التواصل ونمط الخطاب المقصود إنتاجه، واكتساب الألسن وتعلمها وفق هذا المنظور يتم بفضل تفاعل هذه القوالب المكونة لهذا النموذج.

فاللسانيات التوليدية تقوم على مقارنة افتراضية مؤسسة على مجموعة من المفاهيم النظرية والمنهجية؛ المنطقية والفلسفية والنفسية، وتنظر هذه النظرية اللسانية إلى مسألة اكتساب الألسن وتعلمها نظرة عقلية تركز على الخاصيات الفطرية -الذهنية للفرد أكثر مما تركز على المحيط والتجربة والمثير والاستجابة، وتؤكد على الخاصية الإبداعية للغة.

ويعد "تشومسكي" اللسانيات التوليدية علما معرفيا يدخل في سياق الدراسة النفسية والبيولوجية، وقد اتخذ من الوسائل التقنية والرمزية دعامة أساسية لتأسيس اللسانيات تأسيسا رياضيا يقطع الصلة مع اللسانيات التقليدية، واهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالعقل، بمعنى أن اللغة تعكس القدرات العقلية للإنسان، وأكد على أن اللغة ظاهرة فطرية أكثر مما هي مكتسبة، حيث إنها نظام معقد من الرموز والمعاني التي ينتجها الفرد بطريقة فطرية وبمعزل عن أية مراقبة، وأن اكتساب اللسان عملية فطرية ترتبط بمبادئ النحو الكلي المشترك بين جميع البشر والذي هو قاعدة جميع اللغات البشرية، والبشر وحدهم المزودون بهذا النحو، لذلك فهم وحدهم القادرون على اكتساب اللسان.

عمل "تشومسكي" في النماذج التوليدية الأولى على بناء لسانيات علمية تعمل على استبعاد كل ما يرتبط بالتصورات السلوكية والبنوية على الخصوص، وقد تبين له أن تحقيق ذلك يتطلب توظيف المبادئ العقلانية لتفسير الظواهر اللغوية المعرفية المسؤولة عن القدرة اللغوية عند الإنسان. وعلى هذا الأساس حدد مهمة اللسانيات في تحديد نسق القواعد والمبادئ العامة التي تجعل التجارب اللغوية الفعلية ممكنة. أي القدرة اللغوية التي تسمح لكل طفل من أن يتمكن من اللسان.

ولقد حدد "تشومسكي" في هذه النماذج مهمة النحو في الوصف البنوي للجمل، وفي تمييز الجمل النحوية عن الجمل غير النحوية ليصبح بذلك بمثابة آلة توليدية. وركز أيضا على المجال التركيبي بدعوى أن التركيب مستقل عن المعنى وأن الدلالة لا تشكل جزءا من الوصف اللساني. لقد خصص للظواهر التركيبية مكانة خاصة تميزها عن المكون الدلالي والمكون الصرفي - الصوتي.

وتابع "تشومسكي" أبحاثه في ظل التوجه الذي رسم أصوله في نموذج (1957)، ساعيا إلى إدخال تعديلات تراعي مقتضيات البحث اللساني، حيث عمد إلى الإجابة عن العديد من الأسئلة المطروحة ومنها على سبيل المثال: مسألة اعتبار الدلالة من مكونات النحو، والإقرار بتوليدية التركيب وتأويلية الدلالة، وارتباط هذه الأخيرة بالبنية العميقة وكذا استقلال الصورة عن المعنى. وقد عدت هذه التصورات من بين القضايا الأساسية التي دارت حولها مناقشات متعددة وتوجهات مختلفة داخل النظرية التوليدية، وعلى هذا الأساس ميز "تشومسكي" في هذه المرحلة بين ما يسميه "الكفاية اللغوية" أو "القدرة اللغوية" التي تتمثل في المعرفة الضمنية للغة. و"الإيجاز" أو "الأداء اللغوي" الذي يتعلق باستعمال الفرد لهذه المعرفة.

إن المعرفة الضمنية للغة أو المعرفة اللسانية الفطرية تساعد الطفل على اكتساب لسان ما، إذ تشتمل على الكليات اللسانية التي نكتشفها على المستوى الصوتي والتركيبى والدلالي، وتنقسم هذه الكليات إلى الكليات الجوهرية التي تعتبر بمثابة مقولات نحوية مجردة، والكليات الصورية التي تقرر باحتواء كل الأحاء على قواعد ذات خصائص صورية موحدة.

ينطلق الطفل من هذه الكليات ليصوغ عددا غير محدود من فرضيات تم الكيفيات التي تتركب وتنطق بها الجمل ليحتفظ بعد ذلك بالفرضيات الموافقة للوقائع اللسانية فقط. حينئذ نقول: إنه اكتسب اللسان بمكوناته وأنساقه الصوتية والتركيبية والدلالية المختلفة، وبطريقة إبداعية كذلك.

وقد حاول "تشومسكي" من خلال "نموذج السمات" أو "نظرية المعيار" إعادة النظر في مكونات النحو، حيث أضاف إلى المستوى التركيبى مكونين تأويليين هما: "المكون الصوتي" و "المكون الدلالي"، وبذلك أوجد علاقة بين "المكون الصوتي" و "المكون الدلالي" واتخذ "التركيب" وسيلة لتحقيق هذه العلاقة.

نظر "تشومسكي" إلى مسألة "اكتساب اللسان" نظرة عقلية تركز على الخصائص الذهنية الفطرية لدى الطفل، مفترضا أن المشكل المركزي في اللسانيات هو تفسير كيف يستطيع الطفل اكتساب لسانه الأم؟ بمعنى كيف يمكن للطفل أن ينتقل من معطيات لسانية أولية مصاغة بشكل جيد وجمل قصيرة للسان إلى نحو لهذا اللسان؟ أي ما السيرة التي تمكن من توليد هذا العدد غير المحدود من الموضوعات اللسانية؟

في ضوء هذا المشكل، تزعم النظرية اللسانية أنها بصدد اكتشاف النظرية اللسانية الفطرية التي تفترض أساسا لتعليم وتعلم اللسان. ولأن اكتساب اللسان كلي وموحد بين الأنواع، فإن السؤال المركزي للنحو الكلي يتعلق بمقاربة التنوعات عبر أنحاء الألسن الطبيعية باعتبارها فطرية وتكون طبقة من الأنحاء الممكنة. وهذا ما يقصده النحاة التوليديون من قولهم كليات أو مبادئ النحو الكلي التي تفيدهم الأنحاء الخاصة المنتمية إلى الألسن الممكنة. أما "جاكندوف" فيرى أن الهندسة التركيبية للنحو التوليدي جذابة، لكنها ليست مطلقة. مما دفعه إلى الاستدلال ضد مركزية التركيب عند تشومسكي، وضد النظريات المعتمدة أساسا على الدلالة، معتبرا أن العلاقة بين التركيب والدلالة يجب أن تكون مرنة. كما ذهب إلى أن النحو الكلي ليس العنصر الوحيد الذي يجب الاعتماد عليه في موضوعات مثل الاكتساب وتوسيط اللغات. ونموذجه يجعل اكتساب الألسن وتعلمها عملية تتم من خلال تفاعل المكونات اللسانية الداخلية مع بعضها البعض من جهة ومع عوامل خارجية من جهة أخرى.<sup>12</sup>

ومن جانب آخر، إذا كان موضوع الدرس اللساني من منظور النحو الوظيفي هو: وصف القدرة التواصلية للمتكلم - المخاطب، فإن عددا من الباحثين اجتهدوا في تحديد مكونات هذه القدرة التي تمكن الطفل من اكتساب اللسان والتواصل به، ولعل أهم مقاربة قدمت للقدرة التواصلية هي المقاربة التي قدمها "سيمون ديك" (Simon Dik) في عدد من أعماله في إطار مشروع علمي متكامل يستهدف إقامة نموذج تمثيلي لمستعملي اللغة الطبيعية.

يتألف نموذج مستعملي اللغة الطبيعية الذي تبلور في إطار نظرية النحو الوظيفي، من فئتين من القوالب: قوالب مركزية ثابتة يتم تشغيلها في كل عملية تواصلية، وقوالب مساعدة يلجأ إليها عند الحاجة حسب ما يقتضيه موقف التواصل ونمط الخطاب المقصود إنتاجه، واكتساب الألسن وتعلمها وفق هذا المنظور يتم بفضل تفاعل هذه القوالب المكونة لهذا النموذج.

القوالب المركزية ثلاثة قوالب، وهي: القالب التداولي والقالب الدلالي والقالب النحوي. أما القوالب المساعدة فهي: القالب المعرفي والقالب المنطقي والقالب الاجتماعي والقالب الإدراكي..

وتشتغل قوالب النموذج المركزية على الشكل التالي:

أ- يفرز القالب التداولي - الذي يعد نبع الانطلاق - بنية تداولية تمثل للخصائص العلاقية وللوظائف المحورية والبؤرية.

ب- تتخذ هذه البنية دخلا لقواعد إسقاطية تلحقها بالبنية الدلالية المحددة في القالب الدلالي.

- ج- يشكل الناتج دخلا للمكون النحوي الذي يفرز بنية سطحية محددة صرفا وتركيبا وصوتا. أما القوالب المساعدة فدورها تطعيم قالب مركزي أو قالبين أو القوالب الثلاثة جميعها حين تكون هذه القوالب في حاجة إلى تطعيم.<sup>13</sup>
- نستطيع أن نستخلص من هذه المعطيات أن اكتساب الألسن وتعلمها من منظور النحو الوظيفي، يتم بفضل تفاعل القوالب المكونة لنموذج مستعملي اللغة، وذلك من خلال التقيد بالمبادئ الأساسية الآتية:<sup>14</sup>
- 1- في المرحلة الأولى من الاكتساب والتعلم تحفز المبادئ الفطرية الكلية قبل اكتساب وتعلم القواعد الخاصة باللغة المتعلمة.
  - 2- في المرحلة الثانية يتم تثبيت القواعد الخاصة باللغة المتعلمة وباستعمالها، والقواعد الخاصة التي يجري تثبيتها بالتعلم لا تتوقف عند القواعد النحوية بل تشمل أيضا القواعد الدلالية والقواعد التداولية التي تربط بين العبارات اللغوية وبين الأهداف التواصلية.
  - 3- تتم عملية تعليم اللغات عن طريق مقابلة لغة المتعلم واللغة المراد تعلمها.
  - 4- لا يمكن تعليم لغة ما في تدريس أبواب معينة من الصرف أو التراكيب، بل في فحص ظواهر عامة (كظاهرة التبعية مثلا)، تجمع بين خصائص وظيفية (دلالية وتداولية)، وخصائص بنيوية على أساس تبعية الخصائص الثانية للخصائص الأولى.
  - 5- انطلاقا من استكشاف الخصائص الوظيفية للظاهرة المروم تعليمها، يوضع المتعلم أمام الوسائل الصرفية - التركيبية - التطريزية التي تستعملها اللغة المهدف لتحقيق هذه الخصائص.
  - 6- يتم تحسيس المتعلم بما يؤالف وبما يخالف بين لغته واللغة التي يتعلمها، من حيث الوسائل التي تسخرها اللغتان لتحقيق نفس الوظيفة (استخدام بنية "التقدم" في العربية الفصحى، في مقابل استعمال بنية "الفصل" في اللغة الإنجليزية للتعبير مثلا).
- انطلاقا من هذه المبادئ والإجراءات المنهجية الوظيفية العامة، يمكن أن نستخلص أن تعلم اللغات عموما وتعلم اللغة العربية خصوصا - من منظور النحو الوظيفي - يستلزم:
- أولا: توفير محيط لغوي يقترب من المحيط الطبيعي للغة، وذلك لتقريب التعلم من الاكتساب.
  - ثانيا: التركيز على المعرفة الفطرية للنحو الكلي وعلاقة ذلك باكتساب الألسن وتعلمها.

- ثالثا : تداخل وتفاعل كل قوالب نموذج مستعملي اللغة، خصوصا : القالب النحوي، والقالب الدلالي، والقالب التداولي، التي يتطلب فعل التعلم مجهودا إضافيا منها، إذ إن كل قالب من هذه القوالب تحتاج إلى تثبيت قواعد خاصة باللغة المراد تعلمها وبكيفية استعمالها.

- رابعا : اعتماد منهجية وظيفية تعتمد إجراءات نظرية ومفاهيمية تجمع بين البنية والوظيفة، وتمكن من خلق توازن بين المعرفة اللغوية المتحركة في نسق اللغة الهدف، واستعمالها في سياقات تواصلية متعددة. وبذلك فإن النحو الوظيفي لا يحد قضايا اللغة في دروس النحو والصرف التقليديين، بل يتعداهما إلى خصائصهما الوظيفية والتداولية.

وانطلاقا من تصور إجرائي لهذه المفاهيم اللسانية النظرية والمنهجية، يرى الباحث اللساني "بنعيسى أزييط"، أن تطبيق التمهصلات التي تحصل بين المستويات اللسانية : التركيبية والدلالية والتداولية، في عملية اكتساب اللسان العربي وتعلمه، قد تأخذ صور التفاعل التالية :

1- تفاعل بين التركيب والدلالة.

2- تفاعل بين التركيب والتداول.

3- تفاعل بين الدلالة والتداول.

4- تفاعل بين التركيب والدلالة والتداول.

وينتج عن هذه الصور الأربع الطرق التعليمية الأربع التالية :

1- طريقة تعليم "معرفة صورة النسق اللغوي".

2- طريقة تعليم "استعمال صورة النسق اللغوي".

3- طريقة تعليم "إدراك المعاني والدلالات" التي للنسق اللغوي.

4- طريقة تعليم "إدراك التكامل بين الأحياز" التي تشكل اللغة تركيبا ودلالة وتداول<sup>15</sup>.

ولا يمكن حسب الباحث "بنعيسى أزييط" أن نفاضل بين هذه الطرق في العملية التعليمية اللغوية إلا على أساس الأهداف والغايات والاستراتيجيات التي يضعها المعلمون نصب أعينهم إزاء المتعلمين، وذلك في إطار الطريقة التكاملية التفاعلية بين عناصر اللغة ومكوناتها، والتي يبقى لها أثر كبير في إدراك النسق اللغوي العربي بكل أبعاده المختلفة : التركيبية والدلالية والمقامية.

إن القواعد الخاصة التي يجري تشيبتها بالتعليم لا تتوقف عند القواعد النحوية بل تشمل أيضا القواعد الدلالية والتداولية التي تربط بين العبارات ومعانيها ودلالاتها، وبين القواعد الاجتماعية والثقافية الخاصة، والأهداف التواصلية، وقواعد تقاسم الفضاء أثناء التواصل اللغوي.

وإذا استندنا إلى ما ذكرناه من نتائج الأبحاث النظرية المعنية باكتساب الألسن وتعلمها في إطار المقاربة التكاملية والتفاعلية بين المستويات اللسانية، نستطيع أن نبني تصورا علميا واضحا عن تعليم اللغة العربية وتعلمها، إذ سنكون مزودين بمعرفة جيدة عن كيفية ترجمة تفاعل المستويات اللسانية (التركيب والدلالة والتداول..) إلى طرق تعليمية شاملة للتركيب بكل عناصره الصوتية والصرفية والنحوية، والدلالة بكل مكوناتها المعجمية ومركباتها الجمالية ودلالاتها، والتداولية بكل عناصرها السياقية أو المقامية الملائمة للنسق اللغوي.

**خاتمة :**

إن اكتساب الألسن وتعلمها وفق عدة فرضيات مؤسسة للنظرية اللسانية، يحصل داخل محيط لغوي منسق على وجه كلي في علاقة تفاعل بين المستويات اللسانية وعدة الاكتساب. لذلك فإن اكتساب اللغة العربية وتعلمها وتعليمها سواء للناطقين بها أو للناطقين بغيرها، لا بد وأن يراعى فيه بالأساس تفاعل مكونات اللغة العربية (أو الخطاب اللغوي العربي) في إطار بنية تواصلية وظيفية، في أبعادها التركيبية والدلالية والتداولية والمنهجية.

لقد كان هدفنا أن نبين أن الفعالية في اكتساب الألسن وتعلمها يقتضي الانطلاق من أدوات وإجراءات لسانية واضحة قائمة على التكامل والتفاعل بين عناصر اللغة ومكوناتها : تركيبيا ودلالة وتداوليا، وذلك في سبيل خلق نموذج ديداكتيكي يربط بين التعليم والتعلم والاكتساب، ويستجيب للمتطلبات العلمية ولحاجات المتعلمين وغاياتهم من تعلم الألسن واكتسابها.

وعلى أساس من ذلك، نستطيع أن نضع البرامج المناسبة والكتب المقررة، وأن نختار المناهج والتقنيات التي تتلاءم وتحقيق الغايات المتوخاة من التعلم اللغوي، والتي يمكن تحديدها في توسيع المعرفة اللغوية للمتعلمين من خلال توسيع تصوراتهم حول لسانهم، وذلك بالاستناد إلى معطيات الدرس اللساني عامة وإلى تصورات الدرس اللساني المعربي للتعلمات اللغوية على وجه التحديد.

هوامث: \_\_\_\_\_

- <sup>1</sup>- بنعيسى أزييط، تعليم اللغة العربية ونظرية تفاعل: التركيب والدلالة والتداولية، ضمن أعمال ندوة: تعليم اللغات، نظريات ومناهج وتطبيقات، سلسلة الندوات 15، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 2005، ص ص : 109-89
- <sup>2</sup>- بنعيسى أزييط، المرجع السابق، ص ص : 96-97
- <sup>3</sup>- حليلة الخيروني، التكاملية في العلوم اللغوية، ضمن الكتاب الجماعي: المناهج وتكامل المعارف، منشورات مقاربات، فاس، المغرب، 2017، ص ص : 225-241 (233).
- <sup>4</sup>- أحمد سعد محمد، الأصول البلاغية في كتاب سيبويه وأثرها في البحث البلاغي، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ت، ص ص : 15
- <sup>5</sup>- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة دار المدني، ط 3، 1992، ص ص : 81-83
- <sup>6</sup>- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، منشورات عكاظ، الرباط، 1988، ص : 36
- <sup>7</sup>-Dubois.J. Dictionnaire de linguistique. Larousse. 1973. P : 480
- <sup>8</sup>-Op.Cit . p : 427
- <sup>9</sup>-Op.Cit . p388:
- <sup>10</sup>- بنعيسى أزييط، مرجع سابق، ص : 98
- <sup>11</sup>- بنعيسى أزييط، مرجع سابق، ص : 99
- <sup>12</sup>- رشيدة العلوي كمال، كيف يكتسب الطفل أنساق لغته؟ أفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الأولى، 2016م، ص: 36
- <sup>13</sup>- أحمد المتوكل، مفهوم الكفاية وتعليم اللغات، ضمن أعمال ندوة تعليم اللغات، نظريات ومناهج وتطبيقات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 2005، ص ص : 111-119 (115).
- <sup>14</sup>- ينظر :
- <sup>1</sup>- البوشيخي عز الدين. تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها من منظور وظيفي. في: أبحاث ندوة: اللغة العربية إلى أين؟ منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة -إيسيسكو- الرباط، المملكة المغربية، 1426 هـ / 2005م ، ص ص : 369-357 .
- <sup>2</sup>- أحمد المتوكل. المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد. دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 2006، ص ص : 156-157. (ينظر بشكل خاص العنوان الفرعي: "نحو الطبقات القالي وتعليم اللغات").
- <sup>15</sup>- بنعيسى أزييط، مرجع سابق، ص : 100